قوي التغيير الأربعة العالمية الأساسية المؤثرة علي إتجاهات الواقع

من الملاحظ أننا بدأنا في إعادة كتابة النظام العالي من جديد، حيث أن إعادة تشكيل الإتجاهات العالمية حتمت هذه الإعادة والتهيئة للواقع الجديد. فالثوارات الصناعية التي حدثت حتي آواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ساهمت وأدت لبزوغ قوي جديدة غيرت كل شيء كان متواجدا تقريبا. وفي القرن الحادي والعشرين الحالي إحتد الجدال والنقاش حول التحول الدراماتيكي الحادث في مدي إلتقاء أربعة قوي تغيير عالمية أساسية ذات تأثير جوهري ترتب عليها مجتمعة حدوث تغييرات عالمية أعظم للإقتصاد العالمي التي لم يسبق لها مثيل من قبل، وتمثلت في أن أثارها تمثلت في أنها أسرع تأثيرا أضعاف المرات علي البشرية.

أ.د. محمد محمد الهادي
رئيس مجلس إدارة المجلة

وعلي الرغم من معرفتنا بحدوث هذه المتغيرات الجذرية، إلا أننا حتي الآن نفشل في فهم حجمها الكامل وتأثيراتها التي سوف تنتج ما يؤدي منها لتضخيم الآثار الناتجة من بعضها. هذه الإتجاهات العالمية الحديثة صارت تكتسب كل من القوة، الحجم والتأثير عند تفاعلها جميعا معا وإرتباط ببعضها ببعض في التغيير والتأثير اللحظي الحادث منها مجتمعة.

وفيما يلي إستعراض لقوي التغيير العالمية الأساسية الأربعة المؤثرة علي إتجاهات الواقع:

أولا: عصر التحضر:

القوة الأساسية الأولي تمثلت حول تركيز النشاط الاقتصادي وديناميكة الأسواق النامية كما في الصين وفي كثير من مدن العالم المتقدم. هذه الأسواق النامية إتجهت خلال ثورات صناعية وحضرية متزامنة تجعت نحو تحويل مركز الاقتصاد العالمي شرقا وجنوبا بسرعة لم تشاهد مثيل لها من قبل. وحديثا في القرن الحادي والعشرين الحالي يمكننا ملاحظة أن الشركات العالمية الأكبر كما في حالة شركات مثل أيرباس، آي. بي. إم.، نسلة، كوكاكولا وغيرها يتواجد مراكزها الرئيسية في الدول المتقدمة اقتصاديا. ويتنبأ أنه بحلول عام ٢٠٢٥ سوف تكون الصين مركزا لشركات كبيرة أكثر مما لدي الولايات المتحدة الأمريكية أو أوروبا، كما يتوقع أن نصف شركات العالم تقريبا أو أكثر سوف يبلغ عائد كل منها ما يقرب من بليون دولار أو أكثر وسوف يكون المركز الرئيس لكل منها في أسواق نامية حديثا.

وربما بنفس القدر من الأهمية سوف يتحول تركيز الاقتصاد العالمي مع نمو هذه الأسواق النامية. ومن الملاحظ أن سكان المدن الحضرية العالمية إرتفع بمتوسط وصل لحوالي ٦٥ مليون نسمة سنويا خلال العقود الثلاثة الماضية أي ما يعادل إضافة ما يقرب من سبع مدن مثل مدينة

شيكاجو الأمريكية سنويا. كما أن تقريبا نصف نمو الناتج المحلي الإجمالي GDP العالمي بين عام ٢٠١٠ وعام ٢٠٢٥ سوف يرد من حوالي ٤٤٠ مدينة من الأسواق النامية، وأن ٩٥٪ من هذه المدن النامية تعتبر مدنا صغيرة ومتوسطة التي لم يسمع عنها من قبل أو ما قد يشار إليها علي الخرائط، كما توقعت بذلك دراسة صادرة من معهد ماكينزي العالمي MGI عام ٢٠١٢ تحت عنوان «العالم الحضري: المدن وصعود الطبقة المستهلكة».

وفي هذا السياق الحادث حديثا يتضح أن مدنا مثل دبي بالإمارات العربية، شنجهاي بالصين، هينسنثو بشمال تيوان، وولاية سانتا كاتارينا بالبرازيل ، وتيانجين المدينة الواقعة ١٢٠ كيلو متر جنوب مدينة بكين الصينية تعتبر جميعها من أمثلة تلك المدن النامية. كما تم تقدير أن الناتج المحلي الإجمالي لجزيرة تيوان في الصين وصل لحوالي ١٣٠ بليون دولا في عام ٢٠٠٠ مما جعله نفس حجم الناتج المحلي الإجمالي لمدينة استكهولم عاصمة السويد علي سبيل المثال. ومن المتوقع أنه في عام ٢٠٢٥ سوف يصل الناتج المحلي الإجمالي لمدينة تيانجبن الصينية لما يقرب من ٦٢٥ بليون دولار بما يقارب من نصف الناتج المحلي الإجمالي لدولة مثل السويد.

وفي حالة مصر التي قامت بالإسرع في إنشاء المدن الجديدة، فقد تم إنشاء هذه المجتمعات الحضرية الجديدة في العديد من محافظات مصر في العقود الثلاثة الأخيرة ونفذتها هيئة المجتمعات العمرانية حيث تم التخطيط والتنفذ لهذه المدن علي أحدث النظم التخطيطية، وروعي في إقامتها بعيدا عن الشريط الضيق لوادي النيل بغية الحد من الزحف العمراني علي الأراضي الزراعية. وقد تم إنشاء في المراحل الأولي حوالي ٢٣ مدينة جديدة بدءا من مدينة العاشر من رمضان، مدينة السادات، السادس من أكتوبر، برج العرب ، الشروق، القاهرة الجديدة، وغيرها التي تتسع كل منها علي أكثر من مليون نسمة حاليا. وعلي نفس النهج اضطلعت الدولة المصرية حديثا بإنشاء المدن الجديدة العملاقة كما في حالة كل من العاصمة الإدارية الجديدة التي سوف تستوعب في مرحلتها الأولي ما يقرب من سبعة ملايين نسمة ونقل ما يقرب من ٥٠ ألف موظف إلي مقرات الوزارات بالحي الحكومي بها، ومدينة العالمين الجدبدة بالساحل الشمالي والمتوقع أن تستوعب ٣ مليون نسمة في مرحلتها الأولي، ومدينة الجلالة العالمية كمنتجع سياحي بين البحر الأحمر والجبل، وغير ذلك من المشروعات العمرانية القائمة حليا.

ثانيا: تسريع التغيير التكنولوجي:

قوي التغيير العالمية الثانية تتمثل في تسريع مجال، وزن، وتأثير التكنولوجيا الاقتصادي. حيث أن التكنولوجيات من طباعة الصحيفة إلي آلة البخار والإنترنت كانت دائما قوي عالمية عظيمة في إنقلاب وتغيير الأوضاع العالمية التي كانت سائدة. الاختلاف الحالي يتمثل في الانتشار المطلق للتكنولوجيا في حياتنا وسرعة التغيير الناتج منها. وقد أخذ هذا التوجهة حوالي ٥٠ عاما لكي يجذب ٥٠٠ مليون نسمة، لكن حديثا يلاحظ أن شبكة الفيسبوك الاجتماعية جذبت ما يقرب من ٦ مليون مستخدم لها في عامها الأول، وقد تضاعف عدد المستخدمين ١٠٠ مرة في الأعوام الخمسة التالية لظهور هذه الشبكة الاجتماعية. كما أن الخدمة الصينية لرسائل النص والصوت بالهواتف المحمولة WeChat صار يستخدمها حوالي ٣٠٠ مليون مستخدم أكثر من كل السكان البالغين في الولايات المتحدة الأمريكية. كما صار هذا التغيرالسريع للتكنولوجيا يدعو للإبداع المتسارع أيضا.

وفي عام ٢٠٠٩ أي بعد عامين فقط من إطلاق هواتف iPhone المحمولة أنشأ المطورون حوالي ١٥٠ ألف تطبيق، وفي عام ٢٠١٤ زاد عدد التطبيقات لحوالي مليون ومائتي ألف تطبيق، وفي نفس الوقت أنزل Download المستخدمون أكثر من ٧٥ بليون تطبيق أي أكثر من عشرة تطبيقات لكل شخص متواجد علي الكرة الأرضية. وقد تم كل هذا التطور من خلال الإبداع المتضاعف الذي إنتشر في السنوات الحديثة وكان مهيئا للتغييرات المتنامية الحادثة المصاحبة بلقوي الحدس البشرية للاستباق الحالية.

كما أن قوي المعالجة والتواصل صارت تمثل أيضا جزءا من أبعاد تسريع التغيير التكنولوجي الحالي فقط فقط ؛ وساهم أيضا في مضاعفة هذا التغيير التكنولوجي الحادث بزوغ ثورة البيانات المصاحبة التي تضع كميات معلومات ضخمة غير مسبوقة في أيدي المستهلكين والأعمال علي حد سواء؛ هذا إلي جانب إنتشار نماذج الأعمال المدعمة تكنولوجيا من خلال منصات تجار التجزئة علي الخط كما في حالة تطبيقات موقع علي بابا AliBaba الصيني إلي تطبيقات إستدعاء السيارات كما في حالة أوبر Uber .

الشكر كل الشكر يرجع لتضخيم كل هذه القوي التكنولوجية بشكل متبادل مما أدي لاستفادة بشرا أكثر وأكثر لكي يتمتعوا من عصر ذهبي خاص بالأدوات، الاتصال الفوري، والمعلومات التي لا حدود لها. كما أن التكنولوجيا المتقدمة والناشئة صارت تقدم وعدا للتقدم الاقتصادي ، مع اكتساب قياسات بسرعة مذهلة، بينما تستخدم رأسمال صغير نسبيا. في هذه البيئة التكنولوجية المتسارعة تمتع مجتمع ريادات الأعمال والشركات المنشأة حديثا بصفة متكررة من مزايا الأعمال المنشأة الكبيرة. وأدت هذه الوتيرة لاعتماد كل من التكنولوجيا والإبداع في تعقد دورة حياة الشركات ودفع متخذي القرارات للإلتزام بالموارد المتاحة بسرعة أكثر وأكثر.

ثالثا: قوي الاستجابة لتحديات عالم المسنين:

هناك تنبؤات بأن عدد السكان في عالم المستقبل سوف يشتمل علي مسنين أكثر، كما أن معدل الإخصاب سوف يكون أقل مما هو عليه حاليا، حيث أن سكلن العالم سوف يشيب بشكل أكبر في الحقبة المستقبلية. وتكون الشيخوخة واضحدة في الاقتصاديات المتقدمة لبعض الوقت، علي سبيل المثال يمكن ملاحظة أن سكان اليابان وروسيا إنخفض خلال السنوات القليلة الماضية وأن العجز الديموجرافي انتشر أيضا في الصين وعاجلا سوف يصل إلي أمريكا اللاتينية. ولأول مرة في التاريخ البشري، تعني الشيخوخة أن عدد سكان العالم وخاصة في الدول النامية سوف يستقر حيث أنه في مدي ثلاثين سنة فيما مضي كان ما يقرب من نسبة صغيرة من السكان يعيشون في دول ذات معدل خصوبة متدني لحد ما من أولئك الذين احتاجوا للإحلال كل جيل. لكن في عام ٢٠١٣ صار حوالي ٦٠٪ من سكان العالم يعيشون في دول بمعدل خصوبة متدني من معدل الاستبدال مما يمثل تغييرا في التركيبة السكانية العالمية.

وتتوقع الوكالة الأوروبية أنه في عام ٢٠٦٠ سوف يتقلص سكان دولة مثل ألمانيا ليصل فقط لحوالي ٣٠ مليون نسمة مما قد يمثل مستوي أقل من سكان فرنسا. كما أن قوي العمل في الصين الذي يلغ ذروته في عام ٢٠١٢ بسبب الاتجاهات الديموجرافية المدفوعة بالدخل، بينما في تايلاند إنخفض معدل الخصوبة من خمسة في سبعينيات القرن العشرين الماضي إلي واحد وربع حاليا، مع العلم أن قوي العمل أقل سوف تضع عبئا أكبر علي الإنتاجية ودفع النمو، مما قد يسبب إعادة التفكير في مدي إمكانيات الاقتصاد تلبية متطلبات أي تنمية مستهدفة. وبذلك تعتبر العناية بالمسنيين أي كبار السن من السكان وزيادة أعدادهم ضغطا ملحا علي نمو التحويلات الحكومية .

رابعا: التجارة، البشر، التمويل والبيانات المرتبطة أعظم عالميا:

قوي إتجاهات التغيير الرابعة والأخيرة تتمثل في الدرجة التي سوف يكون عليها العالم أكثر ترابطا من خلال التجارة، تحركات رأس المال، البشر والمعلومات (أي البيانات والاتصالات) التي يطلق عليها التدفقات التجارية والتمويلية، اللتين كانتا دائما يطلق عليهما العولمة منذ مدة طويلة، إلا أنه في العقود الحديثة صار يتواجد تحول جوهري متمثلا في أنه بدلا من سلاسل الخطوط التي تربط محاور تجارية رئيسية في أوروبا وشمال أمريكا، إمتد نظام التجارة العالمي واتسع عبر شبكة الويب المترامية الأطراف المعقدة والمتداخلة. أما القارة الأسيوية فقد أصيحت تمثل أكبر منطقة تجارية في تدفقات الجنوب بين الأسواق الناشئة التي تضاعفت نسبة مشاركتها في التجارة العالمية خلال العقود الأخيرة الماضية. وفي هذا الإطار إرتفع حجم التجارة بين الصين وأفريقيا من ٩ بليون دولار في عام ٢٠٠٠ إلي ٢١١ بليون دولار في عام ٢٠١٢،

كما أن تدفقات رأس المال العالمي إمتدت ٢٥ مرة بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠٧، وإجتاز أكثر من بليون شخص الحدود في عام ٢٠٠٩ وكان ذلك ممثلا خمسة مرات العدد الذي كان عليه عام ١٩٨٠.

هذه الأنواع الأربعة من القوي الرئيسية ارنبطت بقوي التغيير العالمي توقفت مؤقتا خلال فترة الركود العالمي عام ٢٠٠٨، إلا أنها إنتعشت وتعافت قليلا منذ ذلك الوقت، لكن الإرتباطات التي أقامتها التكنولوجيات الناشئة المتقدمة سارت بدون إنقطاع. ومع زيادة سرعة التطوير الحادث فقد أذن ذلك بدخول مرحلة حيوية ديناميكية جدية للعولمة التي أنشأت فرصا غير مسبوقة كما أثارت تقلبات غير متوقعة.

الاستنتاج وإعادة الحدس:

قوي التغيير العالمية الأربعة هذه جمعت وتيرة النمو في الحجم، وبدأت مجتمعة ومترابطة معا وضمنت تأثيرا ماديا علي الاقتصاد العالمي في مطلع القرن الحادي والعشرين الحالي. أي أنه في الحقبة الحالية صارت هذه القوي الأربعة مؤدية للتغيير واضطراب الأنماط التي كان سائدة طويلا في الأسواق الافتراضية ، وفي كل قطاع الاقتصاد العالمي.، وكل جانب من حياتنا في الواقع أيضا.

وفي واقع الأمر يمكننا ملاحظة أن قوي التغيير الأربعة هذه تحدث في نفس الوقت حاليا، مما يعني أن العالم المعاصر يتغيير بصفة راديكالية أكثر من مدي تأثير قوة منفردة التي نمي فيه كثير منا وشكل أبعاد حدسنا كأساس لاتخاذ القرار. وقدأدي ذلك إلي الفوضي مع التنبؤات والخطط المبدئية التي أنجزت ببساطة من خلال استقراء التجربة الحديثة التي تم التوصل لها. وكثير من الافتراضات والميول والعادات التي ثبت منذ فترة طويله أنها موثوق منها للغاية فقد الكثير منها من أي صدي لها فجأة. أما في الوقت الحالي، لا توجد بيانات ونصيحة تجاه ذلك. وحاليا نشاهد أن أجهزة المحمول كما في حالة كل من iPhone وSamsung Glaxy تشتمل علي بيانات وقوة معالجة أكثر كثيرا من الحاسبات العملاقة الأصلية السابقة. ومع ذلك نعمل حاليا في عالم يكون فيه المتنبئين المهنيين غير مدركين لذلك بشكل خاص بطريقة روتينية.

وبالطبع، يرجع ذلك جزئيا بسبب أن الحدس البشري ما زال يدعم عملية اتخاذ القرار كثيرا.

وقد شكل الحدس البشري بواسطة مجموعة من الخبرات والآراء عن كيف تعمل الأشياء خلال الوقت عندما تكون التغييرات تعاقبية ومتنبأ بها في بعض الأحيان. وقد استفادت العولمة من الأسواق المفتوحة، المنشأة جيدا والمرتبطة جيدا أيضا بسهولة نسبية. كما أن أسواق العمل وظفت بموثوقية كبيرة. وفي نفس الوقت، يمكن ملاحظة إنخفاض أسعار الموارد المحتاج لها، إلا أن ذلك لا يمثل كيف يحتمل العمل في المستقبل. وعند النظر إلي العالم الحالي من خلال مرآة خلفية واتخاذ قرارات بناءا علي الحدس البشري المبني علي الخبرة يوجد احتمال الخطأ في هذا التصور. حيث أنه في العالم الجديد، يحتاج كل من المديرين، صانعي السياسة والأفراد جميعا إلي الحاجة للتدقيق في أبعاد حدسهم من المبادئ الأولي وإعادة ضبطها بجرأة متناهية إذا لزم الأمر ذلك. ويمثل ذلك حقيقة للمنظمات التي تمتعت بنجاح عظيم بصفة خاصة.

وهناك قدر كبير من العمل المتعين القيام به نحو تحقيق ذلك. حيث نحتاج إدراك قدرا كبيرا مما نفكر في معرفته عن كيف أن العالم يعمل بطريقة قد تكون خطأ من أجل السيطرة علي تحويل القوي التخريبية للاقتصاد العالمي؛ ولتعريف الاتجاهات طويلة الأمد التي تتكسر علي المدي البعيد؛ ولتطوير الشجاعة والبصيرة المحتاج لها لمسح الطوابق الفكرية والإعداد للاستجابة. هذه الدروس تنطبق علي صناع السياسة ومديري الأعمال بنفس القدر. كما أن عملية إعادة ضبط نظام الملاحة الداخلي لدي الأشخلص لا يمكن أن يبدأ بالسرعة الكافية أيضا.

وعلي ذلك توجد ضرورة ملحة من أجل التكيف مع هذه الحقائق الجديدة. ولكل هذه البراعة، الإبداع والخيال المصاحب للجنس البشري يوجد ميل نحو البطؤفي تبني إتجاهات التغيير، ألي جانب تواجد رغبة بشرية قوية للبدء نحو المستقبل كما كان عليه الأمر في الماضي أيضا، وبذلك إن إكتساب منظور واضح عن كيف يمكننا التفاوض علي تغيير المشهد سوف يساعد في الإعداد للنجاح المستهدف لحد كبير.